

مكانة المكتبة الجامعية في سياسات تطوير التعليم العالي:

دراسة ميدانية بجامعة عنابة، قسنطينة وسكيكدة

سمية الزاحي

قسم علم المكتبات بجامعة عنابة

Soumia.zahi@univ-annaba.dz

ملخص

المكتبة الجامعية مكون أساسي ومهم من مكونات الجامعة، وتساهم بجدارة في دعم أهدافها ووظائفها التعليمية والبحثية. تحتاج المكتبة الجامعية لتقوم بتحقيق وظائفها وأهدافها إلى دعم مستمر من الهيئات الوصية، يشمل هذا الدعم الموظفين المؤهلين، الميزانية المناسبة، الموقع الملائم والبنائية، المجموعات الحديثة وفق معايير عالمية. ويسمح تقييم هذه الجوانب من المكتبة الجامعية الجزائرية بتحديد مكانتها ضمن السياسة الوطنية للتعليم العالي. مكتبة جامعية، تعليم عالي، الجزائر

Résumé

La bibliothèque universitaire est un composant primordial de l'université, elle participe fortement à la réalisation de ses fonctions et objectifs. La bibliothèque universitaire a besoin du soutien permanent de la tutelle, du personnel qualifié, un budget suffisant, un site et bâtiment pertinents, des collections récentes selon les normes internationales. L'évaluation de ces aspects de la bibliothèque universitaire permet de déterminer sa place dans la politique de l'enseignement supérieur.

Bibliothèque universitaire, enseignement supérieur, Algérie

Abstract

The university library is a primordial component of the university, it takes an important part in achieving the university objectives and functions. The university library itself needs to realize its objectives and functions to have a permanent support from its tutors, including qualified employees, an appropriate funding, a suitable location and building and recent collections. The evaluation of these aspects of the university library will allow to define its place in the national policy of higher education.

University library, high education, Algeria.

مقدمة:

المكتبة الجامعية أماكن ثمينة للإرث الثقافي، ومؤسسات فاعلة للتعليم العالي والبحث العلمي. وتزداد أهميتها في ظل قصور الجامعات بمختلف إمكانياتها عن تلبية احتياجات الطلبة، الذين تتزايد أعدادهم سنويا، إضافة إلى ذلك تطور العديد من النظريات التربوية والتعليمية التي تركز على ضرورة توفير مصادر المعلومات الكافية والمنظمة للفرد حتى يتمتع بالاستقلالية في تكوينه وفق احتياجاته وطموحاته، مما يخلق قيمة مضافة للمكتبات الجامعية ويتطلب ترقية مكانتها في نظام التعليم العالي.

مدخل: أساسيات الدراسة:

1. إشكالية الدراسة:

تستمد المكتبة الجامعية وجودها وأهميتها من أهمية الجامعة ذاتها، ورسالتها هي جزء لا يتجزأ من رسالة الجامعة التي تتركز في التعليم، البحث العلمي وخدمة المجتمع. وينبغي على المكتبة أن تدعم تحقيق هذه الأهداف من

خلال خدماتها المتعددة لطلاب التدرج وما بعد التدرج وأعضاء الهيئة التدريسية والباحثين، كما قد تمتد خدماتها لفئات أخرى داخل المجتمع.

وتعرف نظم وبرامج التعليم العالي في مختلف الدول تطورا مستمرا حتى توأكب المتغيرات الاقتصادية والسياسية والثقافية والعلمية التي يعيشها محيط الجامعة بشكل خاص والعالم بشكل عام. وبذلك تنوعت وتزايدت مؤسسات التعليم العالي استجابة لاحتياجات المجتمع ومتطلبات التنمية. وحتى تحقق الجامعة أدوارها فيجب أن تشمل هذه التطورات كل المرافق الضرورية والتي تساعد الجامعة في أداء أدوارها، وأهم مرفق ينبغي أن يتطور باستمرار مع تطور الجامعة هو المكتبة الجامعية، لأن قصور المكتبة الجامعية يؤثر بشكل سلبي على المردود العلمي والمعرفي للجامعة. ولم يعد قابلا للتصور في أي حضارة حديثة وجود جامعة بدون مكتبة تتناسب مع حجمها ومستواها العلمي. ونظرا لكون نظام التعليم العالي في الجزائر عرف جملة من التغيرات والتطورات في السنوات الأخيرة، فقد بدت الضرورة والأهمية العلمية لرصد مكانة المكتبة الجامعية الجزائرية وقيمتها ضمن الإصلاحات والإجراءات التي مست مختلف جوانب الجامعة، من خلال دراسة عينة من المكتبات الجامعية بجامعة باجي مختار بعنابة، جامعة منتوري بقسنطينة وجامعة 20 أوت بسكيكدة¹.

2.1. فرضيات الدراسة:

لتقييم مكانة المكتبة الجامعية في السياسة الوطنية للتعليم العالي، فقد كانت فرضية الدراسة التي ستختبر هذه المكانة كما يلي:

1. التعليم العالي يولي العناية بالمكتبة الجامعية من خلال:

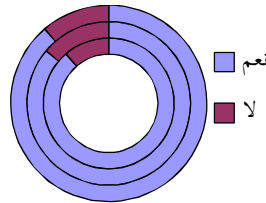
- حضورها في البرنامج الدراسي والزمني للطالب،
- توفرها على إمكانيات وظروف للانتقال من الوظائف التقليدية، لتتحول إلى مكتبات حديثة.

المحور الأول: المكتبة الجامعية في البرنامج الدراسي والزمني للطالب:

1.1. تشجيع نظام LMD على استعمال المكتبة:

من خلال الدراسة الميدانية تبين أن أغلبية الطلبة أي ما يمثل 57,86%، 75% و 71,77% بجامعة عنابة، قسنطينة وسكيكدة على التوالي، يرون أن النظام الجديد المطبق بالجامعة الجزائرية يشجعهم على الذهاب إلى المكتبة واستعمال أرسدها. ويعود عدم الإجماع على تشجيع نظام LMD على استعمال المكتبة إلى الصعوبات التي واجهت تطبيق هذا النظام وتعميمه، ونقص الإمكانيات المسخرة للطلبة.

2.1. مدى حاجة المقاييس المُدرّسة لاستعمال المكتبة:



شكل (01): مدى حاجة المقاييس المُدرّسة لاستعمال المكتبة

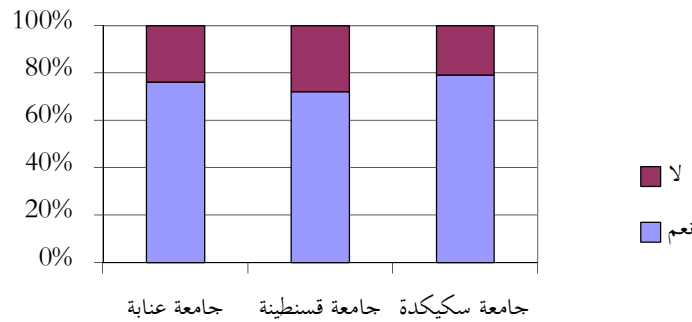
تساهم الطرق التدريسية المبتكرة والحديثة في تنمية التفكير الإبداعي والاعتماد على النفس، وهناك نداءات مستمرة من مختلف الفاعلين في مجال التعليم إلى أنه "يجب أن نرقى بالعلم والتعليم كما ونوعية"¹. وقد أثبتت الدراسة

¹ . وسيستعاض عن تسمية الجامعات في النص بتسمية مدنها تجنباً للإطناب.

الميدانية أن نسب كبيرة من الطلبة الجامعيين تقدر بـ 88,68%، و86,11% و88,71% على التوالي، يؤكدون أن المقاييس التي يدرسونها في البرنامج تتطلب استعمال المكتبة.

فلا يمكن للاستاذ أن يوفر كافة المادة العلمية الضرورية لفهم مقياس معين من خلال عدد من المحاضرات، كما أن أسلوب المحاضرة في حد ذاته أصبح محل نقد في الكثير من المحافل العلمية الإقليمية والدولية، وقد أثبتت إحدى الدراسات أن المحاضرة "عائقاً لتطور الفكر الإبداعي لدى الطلبة حسب وجهة نظر 76% من أفراد العينة، وعائقاً لتنمية الشخصية والاعتماد على النفس لدى 72% من أفراد العينة²، وقد تطورت مقاربات تعليمية عديدة تصب في نفس الاتجاه أبرزها التعليم بالمشكلات، حيث يطرح على الطالب مشكلة معينة ليسعى هو إلى حلها بكافة الطرق الممكنة بالاعتماد على مصادر المعلومات المتاحة مما يحفز على استعمال المكتبة، وبذلك تصبح من المتطلبات الضرورية له في كل حين من أجل التعلم والاكساب المعرفي.

3.1. مرونة البرنامج الزمني للطلاب الجامعي لزيارة المكتبة:

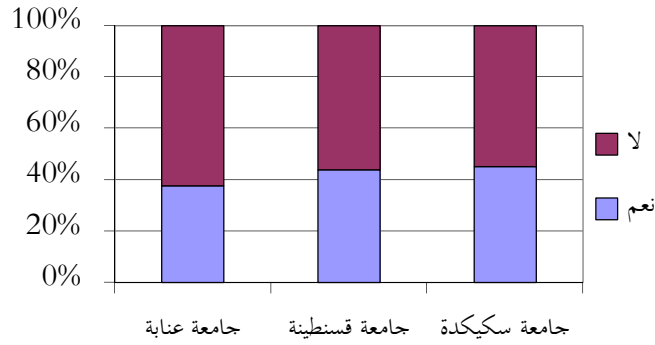


شكل (02): مدى تمكن الطلبة من الذهاب إلى المكتبة الجامعية

إن أغلبية أفراد العينة (76,1%، و72,22% و79,03% على التوالي) يجدون أن برنامجهم الزمني يسمح لهم بزيارة المكتبة، مما يعد مناسباً لهم من أجل التعرف عليها وعلى خدماتها والاستفادة منها.

4.1. برنامج الطالب ووقت افتتاح المكتبة:

تعمل المكتبة وفق التوقيت الذي تسير به مختلف الإدارات العمومية، أي من الثامنة صباحاً إلى منتصف النهار ومن الواحدة زوالاً إلى الرابعة والنصف بعد الزوال، وهذا التوقيت في كثير من الأحيان لا يخدم الأغراض التي وجدت من أجلها المكتبة الجامعية، والمتمثلة في دعم عمليتي التعلم والبحث العلمي. ومختلف الظروف المذكورة أعلاه، جعلت ما يفوق نصف العينة 58,49%، و56,11% و54,84% على التوالي، يرون بأن أوقات عمل المكتبة لا تناسبهم للبقاء فيها مدة طويلة للدراسة والبحث مما يؤدي إلى عدم تمكنهم من الاستفادة من المكتبة واستغلال ما تنتجه من مجموعات وخدمات. نظراً لأن أوقاتهم الدراسية متطابقة مع وقت عمل المكتبة.



شكل (04): مدى ملائمة وقت فتح المكتبة للطلبة

وهذا التطابق راجع لعاملين:

- الأول، الهيئة التدريسية: نظرا لحرص أعضاء الهيئة التدريسية على برمجة حصص في الفترة الزمنية الأكثر نشاطا على مستوى الجامعة وهي من 09:30 إلى 15:30 بعد الزوال، وهي تتطابق مع وقت عمل المكتبة.
- الثاني، المكتبة: حيث تعرف تذبذبا في وقت العمل نظرا لعدم توفرها على العدد الكافي من الموظفين المؤهلين واعتمادها على المتعاقدين، كما أن بعض المكتبات لا تفتح مبكرا صباحا، ثم توقف الاستقبال والخدمة في منتصف النهار وتعاود العمل متأخرة بعد الزوال وتغلق قبل الوقت الرسمي.

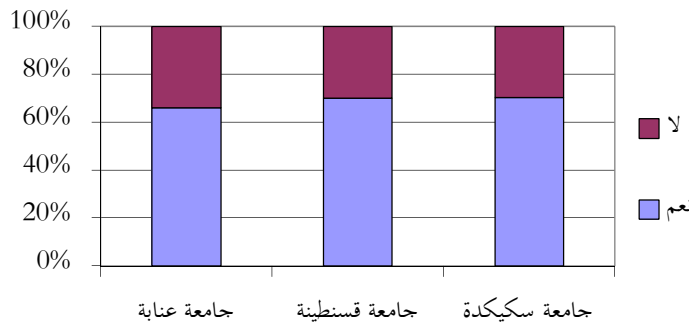
وهناك بعض الدول سعت لحل هذه المشكلة، حيث وضعت وزارة التعليم العالي الفرنسية حلا لمثل هذه الحالة، وعرفت فالمكتبات الجامعية الفرنسية انتعاشة بفضل مشروع المكتبات الليلية "les bibliothèques nocturnes"، والذي بموجبه تظل المكتبات الجامعية مفتوحة إلى أوقات متأخرة مساء، فئة منها إلى الساعة 22:00 بالنسبة للمكتبات التي تقع في أوساط حضرية مأهولة وتشهد حركة مرور نشيطة، وفئة أخرى إلى الساعة 21:00 بالنسبة للمكتبات التي تشهد نوعا من العزلة من حيث المرافق وخدمات النقل.

المحور الثاني: مجموعات المكتبة الجامعية والبرنامج الدراسي:

ونظرا لتأكيد الطلبة أهمية المكتبة في نظام LMD، وكذا في برنامجهم الدراسي، فسيتم التعرف على مدى الاهتمام بها من ناحية المجموعات والخدمات.

1.2. مدى توفر المكتبة على مراجع متخصصة:

من أهم مميزات نظام LMD، هو استحداثه تخصصات جديدة على مستوى الجامعات حين ترى الهيئة التدريسية أو اللجان البيداغوجية الحاجة الحقيقية لإنشاء ذلك التخصص، الأمر الذي لا يتماشى غالبا مع سياسة التزويد بالمكتبة، حيث ينتج عن ذلك نقص وأحيانا كثيرة انعدام الكتب الخاصة بالعديد من التخصصات الجديدة.

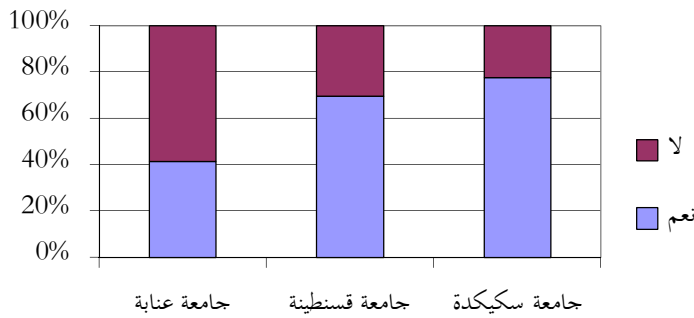


شكل (05): مدى توفر المكتبة على مراجع متخصصة

فعلى الرغم من أن النسب الغالبة من الطلبة 66,04%، 70% و 69,35% على التوالي، في كل الجامعات محل الدراسة -كما هو موضح في الشكل أعلاه- يؤكدون على أن الكتب متوفرة في مجالات تخصصهم، كما أن ما يمثل ثلث العينة تقريبا يؤكدون على أنهم خلال تكوينهم في مرحلة الليسانس لم تتوفر المكتبة الجامعية على كتب تخدم وتدعم ذلك التخصص مما يشكل نقصا كبيرا في تكوينهم.

حيث يحدث في كثير من الأحيان خاصة في ظل نظام LMD أن "تفتح فروع وتخصصات تحت ضغط أوضاع طارئة وتحت تأثير عوامل خاصة تتعلق بميول واتجاهات الأساتذة والمسيرين بالجامعة"³، وتطغى العشوائية والارتجال، ولا تتخذ الإجراءات طابعا علميا منهجيا مبنيا على دراسة الاحتياجات والإمكانيات المتوفرة بما في ذلك الوثائق والأرصدة المتوفرة على مستوى المكتبة، أو حتى طاقات استيعابها؛ حتى إذا تم فتح التخصص يعاني الطلبة لمدة سنة أو أكثر وأحيانا يتخرجون دون أن يحظوا بوثيقة في مجال ذلك التخصص.

2.2. مدى توفر المكتبة على مراجع خاصة بالأعمال التوجيهية أو التطبيقية:



شكل (06): مدى توفر المكتبة على مراجع في مجال الأعمال التوجيهية أو التطبيقية

تعد الأعمال الموجهة والتطبيقات الأساليب الرئيسة لتقييم مستوى الاستيعاب لدى الطالب الجامعي، حيث يتم الاعتماد عليها في تحديد مستواه، وتعد ذات أهمية قصوى بالنسبة للمستفيد لأنها غالبا تمثل 50% من تقييم المقياس الذي يدرسه.

وقد بين الجدول أعلاه أن هناك تفاوتاً واسعاً بين الطلبة من حيث توفر المراجع المرتبطة بالأعمال التطبيقية في المكتبة، حيث أكد أغلبية طلبة جامعة عنابة ونسبتهم 58,49%، أن هناك ضعف في توفير المراجع والوثائق الخاصة بالتطبيقات والواجبات، أما طلبة جامعتي منتوري وسكيكدة فقد أكد أغليبتهم 69,44% و 77,42% على التوالي أن المكتبة لا تعاني من نقص في الوثائق التي تدعم الأعمال الموجهة والتطبيقية.

ويمكن إرجاع أسباب هذا النقص إلى كون العديد من التخصصات جديدة، لم يتم اقتناء المراجع فيها بعد، إضافة إلى عدم إلمام الأساتذة بأرصدة المكتبة، حيث يوجهونهم إلى مراجع قد لا تتوفر على مستوى المكتبة، وكذلك بطء العمليات الفنية التي توفر الكتاب جاهزا تحت تصرف المستفيد. كما أن عملية الاقتناء تأخذ بعين الاعتبار التخصص بدون التركيز على الأعمال الموجهة التي تقدم للطلبة، وضرورة الاستجابة لاحتياجاتهم الدقيقة.

كما أن المشكلة تطرح نظرا لكون الأعمال الموجهة تقدم بنفس الترتيب بالنسبة لأفواج السنة الواحدة أو السنوات الخاصة بنفس التخصص مما يجعل الإقبال عليها في فترة معينة شديدا. وخلال العديد من الاجتماعات البيداغوجية تطرح فكرة التنسيق بين الأساتذة والمكتبة فيما يخص الأعمال التطبيقية، وضبط رزنامة زمنية تجعل الموظفين يوفرون وثائق معينة في فترة معينة لطلبة سنة معينة حتى لا تحدث الفوضى نتيجة طلب نفس العناوين من طرف عدة دفعات في نفس الوقت. لكن تبقى هذه المشاورات حبيسة قاعة الاجتماع وتضيع بمجرد خروج المعنيين منه.

3.2. خصائص المجموعات بالمكتبات الجامعية:

جامعة منتوري قسنطينة		جامعة باجي مختار عنابة		الطلبة الإجابة	
نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار
18,55%	23	21,66%	39	27,04%	43
28,22%	35	29,44%	53	15,72%	25
65,64%	69	52,22%	94	30,18%	48
16,12%	20	8,89%	16	6,29%	10
10,48%	13	16,67%	30	14,46%	23

جدول (01): خصائص المجموعات بالمكتبات الجامعية

تعد المعلومات العلمية والتقنية المادة الأولية للتعليم العالي، وتوفرها بالمكتبات الجامعية معيار للحكم عليها وتقييمها. "فالمعلومات التي تفتنيها المكتبات هي الركيزة الأساسية لجوانب الخدمة المختلفة، حيث أن نجاح الخدمة المكتبية يتحدد وفقا لمدى قوة مصادر المعلومات أو ضعفها، فكلما كانت مجموعات المصادر المكتبية شاملة لفرع المعرفة الإنسانية كافة، ومتنوعة المستويات ومطابقة للمعايير الكمية والنوعية المتعارف عليها، كانت المكتبات في وضع يمكنها من تلبية المتطلبات والاحتياجات التعليمية والتربوية، بالإضافة للاستجابة الفعالة لتلبية احتياجات المستفيدين من طلبة ومعلمين".⁴

والمجموعات التي توضع في خدمة وظائف التعليم والبحث العلمي، ينبغي أن تكون متنوعة، حديثة، منظمة، متمعة وشاملة لجوانب التخصص وكافية من حيث النسخ، هذه الخصائص سيتم اختبارها في ضوء وجهات نظر الطلبة، كما يلي:

- **التنوع:** تبدو المجموعات متنوعة من حيث أشكالها بالنسبة لـ 27,04%، 21,66% و 18,55% من الطلبة (على التوالي)، وهي نسب ضعيفة مما يعني أن مجموعات المكتبة لا تزخر بالانواع المختلفة والحديثة للأوعية الوثائقية، فمجال النشر الورقي والالكتروني، يوفران خيارات متعددة وعريضة تتمثل في الكتب، الموسوعات والقواميس، المجالات، الأقراص البصرية بمختلف أنواعها (Cd-rom; DVD)، مع عدم استثناء مجال النشر المتاح عبر الانترنت وتطوراتها وتنوع خدماته. "وفي هذا الصدد فإن الوسائل المادية والبيداغوجية الموجودة في الجامعة لا تلب الاحتياجات الأساسية من أجل تكوين نوعي، ويسجل في هذا غياب المجالات والكتب المتخصصة، ومركز التوثيق كوسيلتين ضروريتين للتكوين، وصعوبة النشر، ونقص في الانترنت والانترانت".⁵

- **الحداثة:** وهي من أهم الشروط الواجب توفرها في مجموعات المكتبة، وذلك حتى تظل مواكبة لآخر المستجدات العلمية التي تخدم العلم والبحث العلمي، لكن وبناء على وجهات نظر 15,72%، 29,44، 28,22% من طلبة الجامعات عنابة، قسنطينة وسكيكدة على التوالي، يرون أن المجموعات حديثة وهي نسب ضعيفة جدا ونقل عن ثلث العينة، وذلك راجع إلى أن أغلبية المقتنيات ورقية ومطبوعة هذه الأخيرة خاضعة لتدابير سوق النشر مما يجعل الحصول عليها يستهلك وقتا، إضافة إلى طول الإجراءات التي يستغرقها الكتاب في عملية المعالجة التي تفوق في كثير من الأحيان ستة أشهر، كما تتأخر الكثير من مقتنيات سنة جامعية معينة في عملية المعالجة إلى السنة الجامعية الموالية. إن ما تطرحه المقتنيات الورقية من مشكلات اقتناء وإتاحة يمكن تجاوزه من خلال الاعتماد على الاشتراكات في قواعد وبنوك المعلومات العربية والأجنبية.

- **التنظيم:** نسب الطلبة الذين يعتبرون المجموعات منظمة كما يلي: 65,64% ، 52,22%، في جامعتي سكيكدة وقسنطينة على التوالي وتعد نسبا تفوق المتوسط، وفي جامعة باجي مختار بـ 30,18%. يرتبط تنظيم المجموعات بعدة ظروف منها توفر موظفين متخصصين ومساحات عمل وتخزين وغطاة كافية للمجموعات وجود مساحات مناسبة لحجم المجموعات، تطبيق نظام تصنيف علمي وعملي ووجود معدات وتجهيزات ضرورية لذلك كالفوف والحواشيب، ومن النادر أن هذه الظروف مجتمعة في العديد من جامعاتنا.

- **التعمق في التخصص:** يرى 6,29%، 8,89%، 16,12% من طلبة جامعات **،*و* على التوالي أن المجموعات متعمقة في التخصص وهي نسب ضعيفة جدا، مما يعني أن المكتبات الجامعية توفر كتبا عامة وشاملة. وأتى في إحدى الدراسات أن نسبة 96% من أفراد العينة ترى أن لنقص الكتب المختصة أثر قوي في خفض المستوى التعليمي للطلبة، كما أكدوا على نوعية الكتاب، في حين ترى نسبة 04% أن نقص الكتاب ليس له علاقة بانخفاض مستوى الطلبة. فأغلبية الكتب التي تتوفر عليها المكتبات الجامعية هي عبارة عن كتب معنونة بـ "مقدمة في .." أو "مدخل إلى .." أي أن التركيز يكون على العموميات في ذلك التخصص.

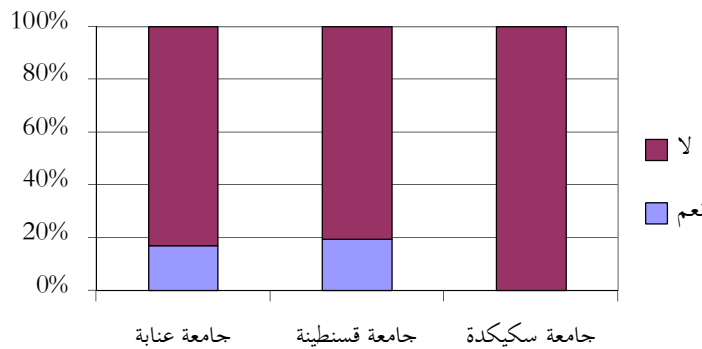
- الكفاية من حيث النسخ:

تعرف الجامعات تزايدا هائلا في أعداد الطلبة المتوافدين عليها، مما يطرح تحديا على المكتبة الجامعية بحيث توفر للطلبة الأعداد الكافية من نسخ الكتب، لكن ما نسبته 14,46%، 16,67%، 10,48% تمثل طلبة الجامعات محل الدراسة، مما يؤثر على حصول الطلبة على المعلومات الضرورية وفي الوقت المناسب. فمن الضروري أن يتزايد عدد نسخ الكتب مع تزايد عدد الطلبة وفق معيار معين إما عالمي، أو معيار محلي يتم الالتزام به.

إن النسب- ضئيلة جدا مما يعني أن رضى الطلبة عن المجموعات المتوفرة في المكتبات لم يتجاوز حتى نسبة الثلث، مما يجعل الملاحظة أن مجموعات المكتبات الجامعية لا تتميز بالخصائص المذكورة. لكن لكل واحدة من هذه الخصائص ذلك الأثر المهم والحاسم في تكوين الطالب وكفائه، فكما كانت المجموعات بعيدة عن مستويات الجودة من حيث نوعية محتوياتها وكمياتها وحدثتها وتنوعها، كلما أثر ذلك سلبا على نوعية التعليم والبحث لدى الطلبة، وكثيرة هي الدراسات التي تناولت أثر المجموعات على مردودية الطلبة.

وذلك يتكامل مع العديد من الدراسات حيث ترى إحداها أن إقبال الطلبة على المكتبات كثيرا ما يقابل بمشاكل كثيرة، حيث تعاني المكتبات الجامعية من قلة المراجع العلمية عموما وخاصة باللغة الوطنية، وهو ما يؤدي إلى التأثير السلبي على أداء الجامعة ككل، وخاصة عندما نعرف أن التعليم العالي يعتمد على المراجع من كتب ومجلات علمية متخصصة وحديثة، كما أن المكتبات المتوفرة تتبع طرقا عتيقة في تنظيمها وتسييرها.⁶

5.2. استعمال الفهارس الآلية بالمكتبة الجامعية:



شكل (07): مدى استعمال الفهارس الآلية بالمكتبة الجامعية

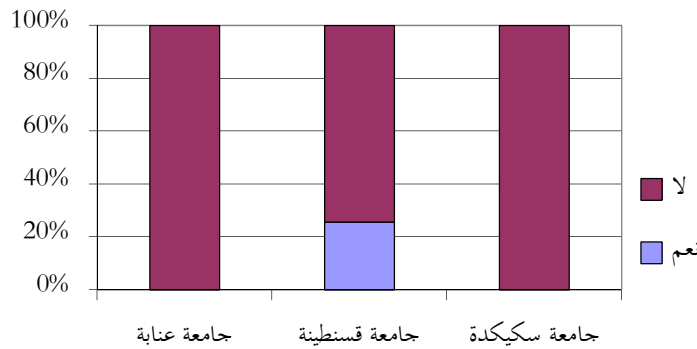
إن فعالية البحث ترتبط بعوامل هي: أقل وقت، أقل جهد، وأكثر نجاعة، وحتى تحقق ذلك تسعى المكتبات وخاصة الجامعية منها إلى استعمال الفهارس الآلية، ويبدو من خلال الدراسة أن أغلبية الطلبة أي بنسب 83,02%، 80,56% بجامعتي عنابة وقسنطينة على التوالي، لا يستعملون الفهارس الآلية، وتفسير هذه النسب الكبيرة إلى أنه ليس هناك تطبيق شامل بكل المكتبات الجامعية فبالنسبة لجامعة باجي مختار مثلا، تضع مكتبة مجمع ابن باديس عدة حواسيب تحت تصرف المستفيدين، وفي الوقت نفسه يظل طلبة مكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية يعتمدون على الفهارس الورقية، وعليه فهي نسب ضعيفة بالمقارنة مع عدد الطلبة المتزايد باستمرار، وحاجتهم الملحة والمتزامنة في كثير من الأحيان لإجراء البحث الوثائقي في ذات الوقت.

كما أن بعض المكتبات الجامعية مثل مكتبات جامعة سكيكدة لا توفر فهارس الكترونية بعد، وهي في طور التحضير لها من خلال الشروع في عمليات أتمتة الفهرسة والفهارس. وبالنسبة للمكتبات التي لا تزال تتعامل بفهارس ورقية فهي في كثير من الأحيان غير معدة بشكل علمي و عملية البحث لا تزال في صورها التقليدية التي تتطلب من القارئ جهدا ووقتا كبيرين، هو في حاجة ماسة إليهما في مرحلة الدراسة بالجامعة.

6.2. خدمة الانترنت بالمكتبة الجامعية:

أصبحت الانترنت في القرن الواحد والعشرين سمة من سمات كل مؤسسات التعليم والمعلومات، كما أنها من الخدمات الأساسية التي تقدمها المكتبات في العصر الحديث، وذلك باعتبارها مصدرا معترفا به للمعلومات، وشكلا حديثا من أشكال أوعية المعلومات، كما أنها أولى خطوات المكتبات الجامعية للولوج بالمستفيد إلى عالم الرقمية والمزايا العديدة التي توفرها شبكة الانترنت.

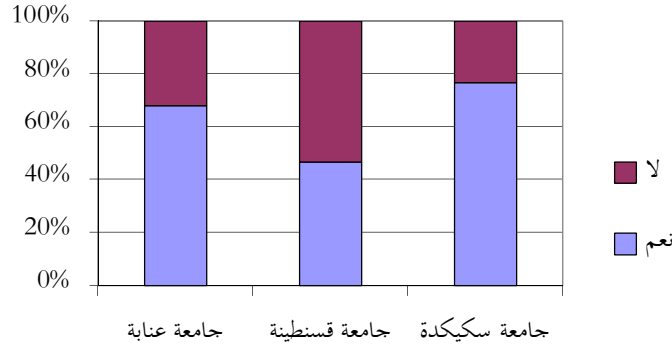
لكن الدراسة الميدانية بينت أن الطالب الجامعي لا يزال بعيدا عن هذه التقنية ضمن محيط المكتبة الجامعية، فطلبة جامعتي عنابة وسكيكدة أجابوا بإجماع (0%) -كما يبينه الجدول أدناه- على عدم وجود قاعة انترنت بالمكتبات الجامعية التي يستعملونها، وبالتالي فكل من المكتبات بجامعتي عنابة وسكيكدة لا توفران هذه الخدمة، أما في جامعة قسنطينة فنسبة بسيطة (25,56%) من الطلبة أكدوا استعمالهم لهذه الخدمة، حيث تتوفر كل من المكتبة المركزية ومكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية على قاعة انترنت، وتعد هذه النسبة ضئيلة نظرا لكثرة عدد الطلبة وتوفر القاعات على أعداد محدودة من محطات العمل، ويتطلب استعمالها حجزا وانتظارا قد لا يناسب برنامج الطالب.



شكل (08): مدى توفر الانترنت في المكتبة الجامعية

المحور الثالث: إمكانيات المكتبة الجامعية:

1.3. ملائمة موقع المكتبة الجامعية للطلبة:



شكل (09): مدى تناسب موقع المكتبة مع وظيفتها في الجامعة

تعد المكتبات الجامعية جزءا من الهياكل المكتملة للعملية التعليمية، ومن المهم أن تكون في متناول الطلبة وفي موقع قريب منهم، حتى لا يستهلك الوصول إليها مجهودا كبيرا ووقتا طويلا. وما يميز المكتبات في الجامعات الجزائرية أنها تبنى ضمن نطاق الجامعة، حيث أن أغلبية الطلبة بنسب 67,92% و 76,61% بجامعتي عنابة وسكيكدة على التوالي، يؤكدون أن موقع المكتبة الجامعية مناسب لوظيفتها في الجامعة، بينما في جامعة قسنطينة فالأغلبية يرون أن موقعها غير مناسب، وبالنسبة لهؤلاء وغيرهم ممن يرون أن موقع المكتبة غير مناسب فيعود ذلك في أغلبية الأحيان إلى العوامل التالية:

- موقعها على أطراف الجامعة خاصة وأن العديد من الجامعات تتربع على مساحات واسعة، مما يتطلب مجهودا ووقتا لبلوغها.

- موقعها قريب من مصادر الضجيج: حيث تكون قريبة من شارع عام أو طريق ناشط كحالة مكتبة مجمع بن باديس المحادية للطريق الوطني رقم 03.

- غير مناسب لذوي الاحتياجات الخاصة: نظرا لكون العديد من المكتبات تكون في مقرات، يتطلب الوصول إليها استعمال السلالم سواء للوصول إلى المبنى أو إلى المقر بحد ذاته، مثل مكتبتي كليتي العلوم الإنسانية والاجتماعية لجامعتي منتوري وباجي مختار.

2.3. تناسب مبنى المكتبة الجامعية ووظيفتها:

تمثل بناية المكتبة جانبا من الجوانب ذات الأثر البالغ في استقطاب المستفيدين أو نفورهم. وتتطلب بناية المكتبة الجامعية جملة من الخصائص والمقاييس التي تجعلها مختلفة عن غيرها من المباني. أما آراء الطلبة حول تناسب المبنى والوظيفة فكانت بنسب 67,30% و 66,94% على التوالي بجامعتي عنابة وسكيكدة وهي نسب تفوق نصف العينة، وهي ذات دلالات على إعجاب المستفيدين بالمبنى وإقبالهم عليه واقتناعهم به، إلا أن نسبة 86,67% من طلبة جامعة قسنطينة يرون أن المبنى غير مناسب لوظيفتها وذلك، لأنه يتربع على عدة طوابق من مبنى الكلية ويحتل قاعات متفرقة مما يجعل الوصول إلى مصلحة معينة يتطلب التوجه من أطراف أخرى، ولذلك فهو لم يحز على رضى الطلبة.



شكل (10): مدى التوافق بين تصميم مبنى المكتبة ووظيفتها في الجامعة

3.3. فضاءات استقبال للمستفيدين:

ترتبط أهمية وقيمة المكتبة في الأدبيات المتخصصة بعاملين أساسيين، هما:

1. مصادر المعلومات التي تتوفر عليها،

2. والفضاءات التي تسخرها لاستقبال الجمهور،

وتحظى فضاءات المكتبات الجامعية بأهمية كبيرة وقيمة مضافة نظرا لكونها، من الاحتياجات الأولى للطلاب ففي محيط الجامعة هم في حاجة إلى مكان من أجل الدراسة والمراجعة الفردية، وهم في حاجة إلى الحوار والنقاش الجماعي والعمل المشترك، وهم في حاجة إلى العمل على الحواسيب، وعليه فلكل نوع من هذه الاحتياجات فضاءه الخاص الذي يتعين على المكتبة توفيره من أجل تحقيق رضى المستفيدين، لكن بالنظر إلى المعطيات الواقعية نجد أن 53,46%، 68,33% و 69,35% من طلبة جامعات عنابة قسنطينة وسكيكدة على التوالي، يؤكدون أن فضاءات الاستقبال بالمكتبة الجامعية لا تتناسب مع أعدادهم، مما لا يتوفر لهم المكان المناسب للدراسة والبحث والقيام بمختلف الأعمال.

4.3. وفرة العاملين بالمكتبة لاستقبال وخدمة المستفيدين:

تتنوع وظائف العاملين في المكتبات، ومن أبرزها وأكثرها حيوية تلك المرتبطة بالتعامل المباشر مع المستفيدين، فهؤلاء الموظفون الذين يشغلون هذه الوظائف يشكلون واجهة المكتبة، وأسلوبا من أساليب التسويق وجذب المستفيدين إليها. وعليه فينبغي توفير الموظفين المناسبين، تزويدهم بالتكوين الضروري الذي يتناسب مع احتياجات المستفيدين، وإرشادهم وتوجيههم من أجل تحقيق رضاهم داخل المكتبة.



شكل (11): مدى وفرة العاملين بالمكتبة لاستقبال وخدمة المستفيدين

يرى أغلبية الطلبة بنسب قدرت بـ 72,33%، 70,56% و 61,29% في جامعات عنابة، قسنطينة وسكيكدة أنه لا يتوفر في مكتباتهم الجامعية العدد الكافي من الموظفين بما يتناسب مع أعدادهم واحتياجاتهم، مما يجعل المكتبة غير قادرة على التعرف على احتياجات كافة الطلبة الواردين إليها، وكذا العمل على تلبيتها. وبالتالي فإن التزايد المستمر

الذي تشهده أعداد الطلبة الوافدين إلى الجامعة، لا تقابله زيادة في عدد المكتبيين بما يكفل تلبية احتياجاتهم وخدمة طلباتهم.

المحور الرابع: الفرضيات في ضوء معطيات ونتائج الدراسة الميدانية:

1.4. تقييم نتائج الفرضية الأولى:

-التعليم العالي يولي العناية بالمكتبة الجامعية من خلال تحسين مكائنها في البرنامج الدراسي والزمني للطلاب: لقد ثبتت صحة الشرط الأول من الفرضية المتعلقة بأن للمكتبة الجامعية مكانة وحضور ضمن البرنامج الدراسي للطلاب، وذلك لوجود إجماع على أن نظام التعليم الحالي المسمى بـ LMD يشجع على استعمال المكتبة الجامعية، المقاييس المدرسة تتطلب استعمال المكتبة، مرونة البرنامج الدراسي بحيث يسمح باستعمال المكتبة، توفر المكتبة على كتب في التخصصات المطلوبة، وتخدم الأعمال الموجهة، أما الجانب المتعلق بمكائنها ضمن البرنامج الزمني فثبت نسبيا فقط وذلك نظرا لكون الطالب يتمكن من زيارة المكتبة لكنه لا يتوفر على وقت كاف للمكوث فيها والقيام بأعماله البحثية. وذلك للتطابق بين وقت دراسة الطالب ووقت فتح المكتبة، وذلك يعني أنه لا يزال ينظر إلى المكتبة كمصلحة إدارية في الجامعة، وليس هناك تركيز على الأدوار العلمية والبحثية والبيداغوجية التي تؤديها، مما يعني أن قيمتها مرتبطة بانفتاحها أكثر من تعدد وتنوع الخدمات واتساع وقت تقديمها للرواد. وترداد مكانة المكتبة لانظر إلى وظيفتها ودورها وتغير التفكير فيها من المفهوم الغداري إلى المفهوم البحثي العلمي والبيداغوجي مما يجعل وقت عملها يمتد إلى أوقات فراغ المستفيدين والرواد. إن المكتبات الجامعية في الدول التي تعطيها قيمتها وأهميتها تفتح لأوقات أطول في المساء وحتى وقت ومتأخر من أجل توفير الخدمات المعلوماتية للطلبة.

2.4. تقييم نتائج الفرضية الثانية:

-التعليم العالي يولي العناية بالمكتبة الجامعية من خلال تزويدها إمكانيات وظروف للانتقال من الوظائف التقليدية، لتتحول إلى مكتبات حديثة. إن تقييم ذلك يكون من خلال النتائج المحصلة في الجوانب التالية:

- المجموعات: لا تعط المجموعات الأهمية المطلوبة والمكانة الحقيقية، فهي لا تتوفر على الميزات التالية: التنوع، الحداثة، التنظيم، التعمق في التخصص، الكفاية من حيث النسخ، ولا تتوفر كل المكتبات على توجيهات واضحة ومحددة في مجال سياسة التزويد وتنمية مجموعاتها.
- الفهارس الآلية: تنتج الفهارس الآلية عن الفهرسة الآلية، وعدم وجود فهارس آلية بأغلبية المكتبات يرجع إلى عدم حوسبة المكتبات وتطوير العمليات الفنية بها، وإنتاج أدوات بحث حديثة.
- الانترنت: أغلبية المكتبات لا توفر خدمة الانترنت، لأن المكتبات الجامعية لا تزال لا تتوفر بعد على كافة المقومات الضرورية لذلك من فضاءات وشبكات اتصال، كون بعضها في مقرات حديثة ومعزولة نسبيا، إضافة إلى الأثاث والتجهيزات الضرورية لذلك وعلى رأسها الحاسبات.
- موقع ومبنى المكتبة: مواقع كل المكتبات الجامعية مناسبة بحكم تواجدها ضمن رقعة الجامعة، كما أن المباني في أغلبية الجامعات مناسبة لوظيفتها، لكنها غير مناسبة لذوي الاحتياجات الخاصة، وفضاءات استقبال المستفيدين غير مناسبة لأعدادهم بالجامعة وتنوع احتياجاتهم، كما أنها غير قابلة للتوسع مستقبلا مع زيادة المجموعات وأعداد الطلبة.
- الطاولات والكراسي: أن أبسط الأثاث المطلوب لتقديم ادنى الخدمات هي الكراسي والطاولات، لكنها غير متوفرة بما يناسب عدد الرواد المقبلين على المكتبة.

- الموظفين: تحتاج المكتبة للموظفين لأداء مهام كثيرة، فهم العنصر المحرك في المكتبة، لكن أعدادهم غير كافية لخدمة المستفيدين ولا تتزايد مع تزايد أعداد الطلبة.

3.4. النتيجة العامة:

للمكتبة الجامعية الجزائرية نصيب من الاهتمام من الهيئات والسلطات الوصية، لكن هذا الاهتمام يوصف أحيانا بالعشوائية وانعدام التخطيط المسبق للاحتياجات الحقيقية في مجال المباني، الموظفين، الميزانيات، التجهيزات. مما يجعل الامكانيات المتاحة والممنوحة للمكتبات تقدم بشكل غير علمي ولا يتكيف مع المعايير، المتطلبات والاحتياجات الحقيقية، ويعيدنا عن المفهوم الحقيقي للمكتبة وما يجب أن تكون عليه في العصر الحديث، مما يعني أنها لا تحظى بالمكانة المطلوبة بعد، وقد يعود تفسير هذا الوضع الذي تعيشه المكتبات الجامعية إلى عدم وجود هيئة وصية على مستوى وزارة التعليم العالي تهتم بها بصفة خاصة، هذا المرفق على أهميته وحيويته في نظام التعليم العالي إلا أنه لا يحض بمتابعة دقيقة ومستمرة من طرف الوزارة، هذه الأخيرة لا تتوفر على بيانات واضحة خاصة بالمكتبات الجامعية.

4.4. المقترحات:

بناء على الدراسة الميدانية ونتائجها، فقد بدأ من المهم والمفيد تقديم مقترحات رئيسية، قد يساهم تطبيقها في ترقية مكانة المكتبة الجامعية في بنية التعليم العالي، وتتمثل في:

1. وجود سلطة مركزية ذات وصاية واضحة على المكتبة الجامعية حتى تتابع احتياجاتها وتطويرها وفق المعايير الدولية، وتشرف على عملية حوسبتها وتزويدها بالإمكانيات المطلوبة وفق خطط وطنية مدروسة.
2. إصدار تشريعات مؤسّسة ومنظمة لكافة جوانب المكتبات الجامعية حتى لا يخضع تسييرها وتنظيمها إلى اجتهادات فردية وعشوائية.
3. توسيع أوقات فتح المكتبة حتى تسمح للرواد على اختلاف فئاتهم طلبة أساتذة وباحثين من الاستفادة من خدماتها ومجموعاتها خارج أوقات العمل.

الخاتمة:

على الجامعة أن تُعلم الطلبة "أن يُقبلوا على المعرفة بكل جوانبها، وأن تُعلمهم كيف يصلون إلى مصادر المعرفة، وكيف يتعاملون معها، ويُفكرون فيها، وينقدون ما يتعرضون له من أفكار، ويبحثون عما فيها من معرفة. بدلا من أن تحيلهم أو تجعل منهم خزائن كتب، وبالقطع خزائن ضعيفة قاصرة لا تستوعب إلا النزر اليسير من المعرفة"¹، لذلك فالتعليم العالي في الجزائر يحتاج إلى المكتبات الجامعية بشكل كبير جدا. وتحتاج المكتبات الجامعية حتى تؤدي أدوارها وتقدم خدماتها بما يحقق احتياجات التعليم العالي منها لأن تحظى بمكانة مهمة في نظام التعليم العالي باعتبارها مرفقا له متطلباته التشريعية والبشرية والمادية وفق ما توصلت إليه المعايير الدولية المعتمدة في المجال.

¹. شخاوي، ناصر. متابعات وأراء حول تطوير مناهج التعليم في الجزائر (1962-2000). وهران: دار الأديب للنشر والتوزيع، 2005. ص.ص. 95-96.

². سعيد، برغل. تقييم العملية التكوينية بالجامعة: دراسة ميدانية ببعض معاهد المركز الجامعي بمستغانم. الجامعة اليوم. أعمال ندوة مركز البحث في الانتروبولوجية الاجتماعية والثقافية 4-6 ماي 1996. وهران: منشورات مركز البحث في الانتروبولوجية الاجتماعية والثقافية، 1998. ص.ص. 83.

³. العياشي، عنصر. أي غد لعلم الإجتماع؟ جامعة اليوم. أعمال ندوة مركز البحث في الانتروبولوجية الاجتماعية والثقافية 4-6 ماي 1996. وهران: منشورات مركز البحث في الانتروبولوجية الاجتماعية والثقافية، 1998. ص.ص. 14.

⁴. السعود، خالد محمد. تكنولوجيا وسائل التعليم وفعاليتها. عمان: مكتبة المجتمع العربي، 2009. ص.ص. 309.

⁵. ملاحظات حول واقع الجامعة الجزائرية والبحث العلمي. ص.ص. 30. ص.ص. 24-33.

⁶. بوفلجة، غيات. التربية والتعليم بالجزائر. وهران: دار الغرب للنشر والتوزيع، 2006. ص.ص. 84.